مسامرةُ أزهارٍ وعَرْفْ

في

مذاكرةِ منازلِ الكشفْ

تأليف الشيخِ العارف بالله

عادل بن شعيب شلاّر الرفاعي الحمصي

المكي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر الباطن ، الذي حجب الحقائق ليكشفها لمن شاء من عباده المصطفين الأخيار ، وصلى الله على العبد المقرب الذي كشف له ربه من الحقائق ما لا يستطيع احتماله إلا عبد واحد ، وسلم تسليما كثيراً ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم من المسلمين الذين اصطفاهم الله لمكاشفة أسرار هذا النبي الكريم .

وصل وسلم يا ربنا عليه صلاة تكشف بها عنا كل سوء ، وتكشف لنا بها مفاتيح الخير والعلوم النافعة والحقائق الإيمانية يا فتاح يا عليم ، أما بعد :

فهذه رسالة مختصرة لطيفة جمعت فيها خلاصة ما تعلمته من مذاكرة العلماء الربانيين أهل الله حول مسألة من مسائل الدين تدعى الكشف .

وقد سميت هذه الرسالة : (مسامرة أزهار وعرف في مذاكرة منازل الكشف)

وهي تشير إلى أن العارفين بالله رياض مونقة ، وأن مسامرتهم كمن يعاشر الزهور والروائح الطيبة الفائحة على الوجود ، ومن تلك الزهور اليانعة والروائح الطيبة ، المذاكرة حول موضوع الكشف وما فيه من حلاوة وإنعاش للروح وهدوء للبال وشرح للصدور وسعة للعقول الساعية للحصول على العلوم ، ولذة للنفوس المشتهية للتزين بنفائس الجواهر والعطور . .. والآن دعونا نبدأ بالمطلوب .

ما هو الكشف ؟

الكشف في اللغة : هو الإظهار ، كشف الشيء يعني أظهره وكشف عن الشيء أزال عنه الغطاء حتى تراه الباصرات ، ويكون الإظهار بإزالة الحجاب أو الستر أو الغطاء عن

الشيء أو إظهار الشيء بإزالة الظلام للبصر أو إزالة الشبهة عن الشيء للعقول والبصائر .

والكشف شرعاً : هو فعل من أفعال الله تعالى معناه إزالة الحجاب للعبد عن الحقائق ليشاهدها بالبصر والبصيرة .

• تعريف الكشف عند أهل الحقيقة :

هو ظهور العناصر الشهودية الغيبية من لطائف الأمثلة والإشارات النبوية ، وتجلى الحقائق المعنوية ببراهين التجليات الالهية.

وشرح ذلك أن تعلم أن جميع العناصر التي خلقها الله كلها ظاهرة مشهودة للنبي عليها الصلاة والسلام وليس منها غيب عليه وقد جمع علمها في أمثلة وإشارات ولها مفاتيح خاصة غير مفاتيح الغيب التي ذكرها الله في قوله (وعنده مفاتيح الغيب) فهذه مفاتيح التصرف في الغيب ، اما المفاتيح النبوية فهي مفاتيح الوصول للمعرفة فيعطي منها النبي عليه الصلاة

والسلام لأصحاب الكشف ما قسم الله لهم منها ، ولنا رسالة لطيفة حول المفاتيح النبوية العامة للمسلمين والخاصة للعباد المكاشفين بالخصوصيات التشريفية من النبي عليه الصلاة والسلام .

واعلم أن الحقائق المعنوية نوعان :

-النوع الأول : حقائق قائمة في خصائص العناصر المخلوقة وهذه كلها متجلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغيب عنه منها شيء .

-والنوع الثاني : حقائق تتعلق بالذات الإلهية والصفات الربانية والأفعال الصمدانية وهذا النوع من المعاني قد قسم الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم نصيب ، وبقي ما لا نهاية له من الحقائق غيباً خاصاً بالله سبحانه وتعالى ، وهذه الحقائق يقسم منها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الكشف ما شاء الله لهم عن طريق البراهين الذوقية التي ذكر الله أسها في سورة الزمر آ22-23

قال الهه تعالى : ((أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))

وفي قوله تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) الأنفال 2

فإن وجل القلب وقشعريرة الجلد يكون عند كشف الله الحجاب عن الحقائق وسطوا أنوار الحقائق على الإنسان فأول ما يحصل له انكماش اللسان والجلد ثم يلين القلب والجلد لتحصيل الهداية ومكاشفة الحقائق هي البراهين الذوقية التي تقع للأنبياء عند الوحي وللمؤمنين عند المكاشفات .

وقد بينت بعض أسرار هذه المسائل في رسالة (من ألوان المحبة) وفي رسالة (الذكر بحرف واحد) .

حقيقة الكشف عند أهل الله :

حقيقة الكشف عند أهل الله هي ارتفاع الحجب الظلمانية بين الإنسان والحقائق التي قسم الله له التعرف عليها ، وكذلك هي رقة الحجب النورانية بين الإنسان والحقائق المعنوية التي قسم الله له تذوقها

- **ما هو المقصود بالحجب الظلمانية ؟** هي كل مانع للإنسان عن مشاهدة الحقائق بالبصر والبصيرة ، ويصنف هذا المانع في الظلمات ، مثل الكفر والتكبر والظلم والهوى وسائر المعاصي والله يكشف لطالب الهداية عن الحق ويهديه إليه ويخرجه من الظلمات إلى النور ، أما المتكبر المعاند فهو في الظلمات ليس بخارج منها فلا يكشف له عن الحقائق .

- **ما هو المقصود بالحجب النوارنية ؟**

هي درجات اليقين والتشريف كلما ارتقى العارف بالله منزلة اكتشف أن المنزلة النورانية التي كان فيها حاجباً وغيناً بالنسبة للمنزلة التي صار فيها ، وكذلك المنزلة التي هو فيها هي غين وحجاب للمنزلة التي فوقها .

أنواع الكشف وأقسامه :

للكشف نوعان (كسبي و وهبي) ولكل واحد منهما قسمان (حسي ومعنوي)

فأما الكسبي : فهو إزالة الله الحجاب للمتوسم (يعني للمستدل بالأدلة والمقتفي للآثار) عن الحقائق عند مباشرة الأسباب والآلات التي يرجو بها معرفة الحقائق ومن تلك الآلات النظر والاعتبار والاستدلال والتجربة ، وهذا النوع من الكشف سماه القرآن (التوسم) وسماه الحديث (الفراسة) قال تعالى : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)) الحجر 75

وجاء في الحديث : ((اتقوا فراسة المؤمن)) رواه الترمذي والطبراني وهو حديث حسن

وأما الوهبي : هو إزالة الحجب ورؤية الحقائق دون سبب وآلة وهذا هو العلم اللدني كما سماه في القرآن ((وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)) الكهف 65 ويحصل للإنسان بالوحي والإلهام والرؤية والوارد .

وللكسبي قسمان وللوهبي قسمان : وذلك باعتبار الحقائق المكشوفة فهي إما حقائق حسية تشاهد وتسمع وتلمس بالحواس وحقائق معنوية تشاهدها القلوب ويتذوقها الفؤاد وتسمعها الروح وتطرب بها ويقشعر لها الجلد ويلين وتشرق بها الوجوه وتزيد منها قوة الجسد عند ملامسة أثر تجليها .

• أركان الكشف وشروطه:

للكشف أربعة أركان :

(كاشف ومكاشَف والمكشوف عنه المكشوف به)

فالكاشف : هو الله وحده لا شريك له وهو يكشف عن الحقائق لعباده كما يشاء كشفا مباشراً أو بوسطة ، قال الله تعالى : ((لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)) ق 22

شروط الكاشف : هي اتصافه بالعلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام . لأنه إذا لم متصفا بذلك فيستحيل أن يكون كاشفاً للحقائق .

المكاشَف : وهو العناصر القابلة للمعرفة والذوق كالعرش واللوح والقلم والملائكة والسموات والأرض والإنس والجن

وشروط المكاشف : أن يكون مخلوقاً قابلاً لشرف معرفة الحقائق وتذوق المعاني سواء كان في الحياة الدنيا أو في البرزخ أو الحياة الأخرى فقوله تعالى : ((فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)) هو كشف للإنسان عن الحقائق عند

انتقاله من الدنيا إلى البرزخ وقد ورد في صحاح الأحاديث أن الشهداء يكشف لهم الجنة في البرزخ فيدخلونها ويأكلون منها

المكشوف عنه : وهي الحقائق الشهودية والذوقية ، فشرط المكشوف عنه أن يكون حقيقة فالكشف لا يتناول الأوهام انما يتناول الحقائق ، ومن الحقائق معرفة أن هذا الشيء في حقيقته وهم وباطل ، مثل انكشاف حقيقة المعصية ولذتها للإنسان التائب .

المكشوف به : هي الأسباب والوسائط التي يكون بها جلاء الحقائق ومن هذه الأسباب :

- آيات الله الجامعة لأنوار القرآن الكاشفة للحقائق .

-براهين رسل الله الكرام عليهم الصلوات والتسليمات

ومن الوسائط الملائكة المسخرة للمّة ببني آدم وإلقاء الخواطر الموصلة لمعرفة الحق ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي والنسائي بسند حسن عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن للملَك لمّة، وللشيطان لمة،

فلمّة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله، ولمة الشيطان إيعاد بالشر، وتكذيب الحق، فمن وجدها فليستعذ بالله))

ومن البراهين النبوية الوارد والرؤيا الصادقة ، فالوارد هو حالة قشعريرة الجلد ووجل القلب ويبدأ في قوته على القلب كالصاعقة والرعد ومعه ألم لذيذ ألذ من جماع الزوجة ويحدث الكشف في تلك الحالة ، وهذه الحالة هي من براهين النبوية لأنها لا تحدث إلا لمحبي النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن البراهين النبوية الرؤية الصادقة فهي جزء من ست وأربعين جزء من النبوة .

وشرط المشكوف به : أن يكون به جلاء الحقائق ومن أسراره أن يكون الظلم والباطل سبباً في جلاء الحقائق الذوقية وأن يكون القبح سبباً في جلاء الحقائق الجمالية ويكون الضد كاشفا للضد وهذا من حكمة الله في خلق القبح والشر والظلم .

- **الحكمة من الكشف :**

التبليغ : أوجب الله على الرسل تبليغ الرسالة المتضمنة لحقائق فكان دوام المكاشفة للأنبياء شرطاً من شروط النبوات ولازما من لوازم الرسالة والثبات على الحق .

التفضيل : لما قضى الله تفضيل المخلوقات بعضها على بعض لزم أن تكون الحقائق مكشوفة لأفضل المخلوقات وأشرفهم ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أشرف المخلوقات وأفضلهم وأقربهم إلى الله وأكرمهم عنده وقد ألف العلماء كتبا في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم وعلو تشريفاته على كل خلق الله ، فالله فضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات كما قال عز وجل في كتابه ، ولما قدر الله أن يجعل فوق كل ذي علم عليم فقد لزم أن يكون بعضهم مكاشفا بحقائق وأن تحجب هذه الحقائق عمن دونهم

دفع الضرر وجلب المصلحة :

كما حدث للخضر مع موسى فإن الله كشف له من الغيب ليجلب المصلحة للمساكين واليتيمين ويرفع الضرر عن الأبوين ومثل كشف سيدنا عمر لدفع الضرر عن الجيش وسماع سارية صوت عمر وهو يقول يا سارية الجبل ، الجبل ، ومثل كشف المؤمنين لجلب المصالح ودفع المصالح ومكاشفتهم بالحقائق للإفتاء الصحيح والحكم بين الناس بالقسط .

زيادة الإيمان والثبات على الحق : فالكشف يجعل المؤمن على يقين من الحق كأنه بمنزلة المعاينة وهذا من مقام الإحسان

الفتنة : وهذا ما يحدث لل مريد الـسالك في بداياته فينشغل بالكشوفات فيؤدبه شيخه ويدربه على أدب التعامل مع الكشف ، وكذلك ما يحصل للفاسقين وللدجالين من الكشف استدراجاً لهم .

الابتلاء : وذلك بتسليط الكشف على المؤمن لامتحان صبره ، مثل أن يكشف حقائق الناس وما يضمرون وما يحدثون أنفسهم به وما يفعلونه ويأمره الله أن يعاملهم بما يظهرون ، وقد مررت بهذه الحالة حتى استجرت بالله أن يخرجني من تلك الحالة لشدتها فرحمني وقبل رجاءي فأخرجني منها ، لأن تلك حالة لا تستطيع تحملها إلا نبي رحيم وولي شفيق .

* درجات الكشف :

يرى ابن قيم الجوزية رحمه الله من خلال بحثه في كلام أهل الله أن ما يعتبر كشفاً على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : درجة مكاشفة عين الحقائق على الدوام لا انقطاع لهذا الكشف وهي درجة النبيين فهم على كشف دائم لكن يشوبه الغين وهو حجاب نوراني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إنه ليغان على قلبي حتى إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة)) رواه الإمام مسلم عن الأغر رضي الله عنه

والمقصود بمكاشفة عين الحقائق هي انكشاف صفات الله وأسماؤه وأفعاله ويسمى هذا الكشف الشهود والمعرفة.

الدرجة الثانية : درجة مكاشفة عين الحقائق بغير دوام فيتخللها انقطاع وهي درجة غير الأنبياء فهي تنقطع بحجاب الغفلة فالصالحون من غير الأنبياء مهما ارتقوا فلا بد ان يقعوا في الغفلة وأهل الله يتبعون أصحاب النبي بإحسان لأن الصحابة وهم أفضل الصالحين بعد النبي عليه الصلاة والسلام ورغم صلاحهم فقد وقعوا ببعض الغفلات فلا يجوز اتباعهم فيها ومن هذه الغفلات ما وقعوا فيه في قصة الإفك وقد غفر الله لهم وعفا عنهم .

الدرجة الثالثة : درجة مكاشفة صور الحقائق وأمثلتها دون حقائقها وهذا درجة من درجات العلم وهي درجة كثير من العلماء الربانيين المستدلين على الحقائق بما يفتح الله لهم من فهم كتابه الحكيم وكلام رسوله الكريم صلى الله عيه وسلم .

درجات الكشف عند السادة الصوفية :

وأما عند الصوفية فدرجات الكشف : وأعلى درجات الكشف هي الكشف المحمدي لأن الله هو نور السموات والأرض ولأن مثال نوره في الوجود هو الحقيقية المحمدية والحقيقة المحمدية هو النور الذي به يكشف النبيون والملائكة والمؤمنون الحقائق **وهكذا فدرجات الكشف عندهم هي:** درجة الكشف المحمدى وتحتها درجة كشف الأنبياء ودونها درجة كشف عالم الملكوت ودونها درجة كشف أولياء الله ودونها درجة كشف عوام المؤمنين ودونها درجة كشف العصاة.

- **ما هو الحجاب :**

– خلق الله الخلق في حجاب من الظلمة ثم كشف لهم من الحقائق بحجاب من النور وذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فألقى

عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل)) رواه أحمد وغيره.

وكذلك قوله تعالى في الحديث القدسي : ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم)) رواه مسلم فالأصل أن العباد في ظلمة غير مكشوف لهم الحقائق وأن الله هو الذي زرع فيهم نور طلب الهداية والعلم فإذا طلبوا الهداية فإن الله يخرجهم من الظلمات والنور ويكشف لهم عن الحقائق النافعة لهم . لذلك عندما تجد عبداً ي طلب الهداية بصدق ، فهو دليل على أن الطالب ممن كشف الله عنهم حجاب الظلمة ورش عليهم من النور عندما خلق الخلق .

- **حجاب الحقائق نوعان** :

حجاب ظلماني وحجاب نوراني فالحجاب النواربي هو حجاب الله جل جلاله وهو قوله عليه الصلاة والسلام : ((حجابه النور)) رواه الامام مسلم .

وعالم الحجاب النواري هو المقام الذي يفضي إليه دعاء الوالد كما قال عليه الصلاة والسلام : ((دعاء الوالد يفضي إلى الحجاب)) رواه ابن ماجه.

كلمة (يفضي) أتى بها النبي عليه الصلاة والسلام للتعبير أن الحجاب رقيق فهو في المثال كرقة الثوب الحاجب لما وراءه .

وعالم الحجاب هو مقام البشر الذين يكلمهم الله كما قال الله تعالى : ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا)) الشورى آ 51

وهذا الحجاب يكشف للمؤمنين يوم الدين كما أنه كشف في الدنيا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وللصحابي عبد الله والد الصحابي جابر رضي الله عنهما

وما ورد في الروايات أن الحجب النورانية والظلمانية سبعون الف حجاب فلم يصح عند المحدثين من ناحية السند وصح معناه عند الصوفية .

والحجب الظلمانية : أربعة النفس والهوى والدنيا والشيطان والكشف المناسب لأهل ذلك الحجاب هو الأنوار التي بها ينكشف للإنسان بها حقيقة الدنيا وعداوة الشيطان وعاقبة الهوى وتزكية النفس.

ولهذه الحجب الأربعة آثار هي المعاصي كالشرك والظلم و .... وهي تجعل القلب غافلاً عن الحقائق أو به الران كما قال تعالى ((كلا بل ران على قلوبهم)) المطففين

- **ما هو الغين :**

هي حالة تصيب أصحاب المقامات العالية فكلما كشف اله. لهم نوراً أعظم رأو ا النور الذي كانوا عليه غيناً ، أو كلما رجعوا من نور عظيم إلى نور أخف اكتشفوا أن مقامهم غين ، فمن ارتقى من مقام الزهد إلى مقام اليقين رأى أنوار زهده غيناً ، ومن انتقل من حالة السكر بالذكر مع شهود الله إلى حالة الصحو يرى نور الذكر في الصحو غيناً ، فيدعوه ذلك

للاستغفار كما في الحديث ((إنه ليغان على قلبي واني لأستغفر في اليوم مائة مرة)) رواه مسلم

من آفات أصحاب الكشف :

الآفة الأولى : الشطح

قبل تعريف الشطح لابد من هذا التمهيد:

اعلم أن الحقائق الذوقية المرتبطة بتجليات ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله ، تعجز اللغات عن حكاية حقيقتها ، فمنها ما تستطيع اللغة أن تقرب معانيها بأساليب المجاز اللغوي ومنها ما تعجز اللغة عن حكايته ولو مجازا .

فالحالة الأولى : تقريب المعاني بالمجاز قد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة مثل قوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) ومثل حديث الهرولة والنزول فإن اللغة العربية تستطيع تقريب الحقائق الذوقية لتلك المعاني بأسلوب المجاز.

أما الحالة الثانية : وهي عجز الحقيقة والمجاز اللغوي عن حكاية الحقائق ، فمن قام يحكي هذه الأسرار بلفظ حقيقي أو مجاز فإنه سيقع بشيء يسمى (الشطح) .

تعريف الشطح:

هو حكاية الحقائق الذوقية الممتنعة عن الحكاية ، بلغة قاصرة ، فصاحب الشطح على حق لكن عبارته قاصرة قصوراً قد يقلب المعنى إلى ضده ، لذلك قال العارفون بالله : ((فضح أسرار الربوبية كفر)) أي من أقحم نفسه في التعبير عما تعجز حقيقة ومجاز اللغة عن حكايته فإنه سينطق كلمات ربما كفّره الناس بها لعدم فهم معناها فالغالب على الناس حمل المعاني على الظاهر القريب .

فائدتان حول الشطح :

الفائدة الأولى : لطف الله بأوليائه عند الشطح :

ومن ألطاف الله على أوليائه أنه يصون ألسنتهم فيتكلمون أثناء التجلي بلغة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى لا يعرف من حولهم ما يتكلمون به من الحقائق.

الفائدة الثانية ، براءة الشطح من الباطل :

أما ما ينسبه الناس من الأباطيل والخرافات إلى الشطح فالشطح برئ منه إنما هي أكاذيب وأباطيل وأوهام وليست شطحات ، لأن الشطح هو التعبير عن حقائق ذات الله وصفاته وأفعاله بلغة قاصرة فالشطح مختص بالكلام عن أسرار الربوبية وتجليات الألوهية على القلوب الزكية .

- **الآفة الثانية من آفات الكشف:**

تقييد الكشف المطلق والعمل بما قيده صاحب الكشف وبيان ذلك:

أن الله يكشف للعبد كشفا مطلقاً أي غير مقيدة بزمن معين أو مكان معين أو شخص معين ، فإذا ظهر للعبد علامات وحالات تشبه علامات ما كشف الله له قام العبد فأنزل كشفه على هذه الحالات .... و هكذا بعد زمن تقع الأمور كما كشف له فيكتشف أنه كان مخطئاً عندما أنزلها في غير وقتها وعلى غير أرضها.

مثال ذلك:

كشف الله لرجل داراً سيتخذ صاحبها دكاناً وسوف ينفجر فيها شيء يكون بسبب أكل ميراث محارم.

فجاء هذا الكشف غير مقيد (الزمن ولا معروف من هو صاحب الدار) فالتقى بصاحب الدار وجعل يذكر له تحريم أكل حصة الأخوات من الميراث و أن من عقوبة ذلك أن تنفجر أسطوانة الغاز في البيت .

ثم مرت سنوات فباع صاحب الدار داره ، ثم الذي اشتراها اتخذ منها دكاناً ثم دخل الناس في ثورة وحرب فأتت قذيفة

فدمرتها فكان هذا الأخير هو المقصود وكان الحارق لداره هي القذيفة وليست أنبوبة الغاز .

هكذا كان هذا العبد بحاجة للاستغفار عندما ظلم صاحب الدار القديم وظن فيه ظن السوء ولم يستفت العارفين بالله أصحاب الكشف والعلم فيما كشف الله له ، فلعل أحدهما يكون مكشوفاً عنه الحقيقة كاملة فينصحه ويبين له آداب التعامل بالكشف المطلق .

- **الآفة الثالثة من آفات صاحب الكشف :**

(تقديم ظاهر أدلة الشرع على الكشف في الفتوى ، وتقديم الكشف على ظاهر الأدلة في القضاء والحكم)

–من الأمور المعروفة في منهج النبي عليه الصلاة والسلام في مقام القضاء والحكم أنه كان يعامل الناس حسب ما يظهرون فيأخذهم بما يناسب ظاهرهم من أحكام الشرع.

فرغم أن الله أخبره عن المنافقين وأطلعه على خبيئته م وأنهم كافرون معاندون لله ورسوله ، وقد علم ا لنبي صلى الهن عليه

وسلم ما في قلوبهم ، لكنهم كانوا يشهدون أمام الناس أنهم يؤمنون بالله وبرسوله صلى الهن عليه وسلم ويظهرون الصلاة والصيام ، فكان يعاملهم على أنهم مسلمون بل ويستغفر لهم ويقوم على قبورهم وهو يعلم أنهم في الدرك الأسفل من النار.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من صاحبه فأقضي له على نحو ملم أسمع فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له به قطعة من النار)) رواه البخاري ومسلم ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم من هو المحق والمبطل لكنه مأمور أن يقضي بين المتخاصمين حسب الدلائل ، وله الحق أن يعظ المتخاصمين بأن القضاء والحكم لا يحول الباطل إلى حق ، ولا يمنع عذاب جهنم عن المبطل.

وكذلك صاحب الكشف إن كان يعلم عليه أن ينصح قبل أن يحكم ويقضي بين الناس ، ويحتال لصاحب الحق ويدفعه إلى أحسن الحكاجحة .

-أما الفتوى فهي مسألة خاصة فإذا كشف الله للمفتي حقيقة الأمر المستفتى فيه فيجب عليه أن يفتي حسب كشفه لا حسب ظاهر أدلة الشرع الموافق لسؤال المستفتي ، إنما يفتيه بكشفه ثم يستدل على كشفه بدليل من ظاهر الشرع يوافق الحقيقة التي كشفها الله له ، حتى لا ينسبه الناس لمخالفة الشرع ، ومثال ذلك السؤال المشهور هل للقاتل توبة فأجاب ابن عباس لا توبة للقاتل ، فإن الشرع ورد بقبول توبة قاتل مائة نفس ، وهنا علم المفتي أن القاتل جاء يسأل لأنه يضمر في نفسه القتل ثم يتوب ، فأفتاه ابن عباس رضي الهف عنهما حسب كشفه ليبعده عن هذا الأمر وهكذا فقد أفتى بالكشف وترك ظاهر الشرع .

- ومن المسائل في ذلك أن صاحب الكشف لو كانت له شفاعة عند الحاكم لمنع قتل مؤمن دلت ظاهر الأدلة الشرعية على ردته ، ثم علم بالكشف أنه مؤمن يجب عليه أن يشفع

فيه وهذا ما صرح به الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله أنه أدرك الحلاج لشفع فيه وأخذ بيده.

مسألة هامة :

أيهما أعلى رتبة الكشف أم الاستدلال ؟

اعلم أن الكشف هو أعلى مراتب الاستدلال ، وهو مرآة حقائق القرآن الصافية ، لذلك فإن الواجب على صاحب الكشف أن يقدم كشفه على استدلال غيره من القرآن والسنة ، وذلك لعدة أمور:

الأول : أن مصدر الكشف من الله ورسوله والاستدلال من القرآن والسنة جهد آدمي يرقى على سلم الظن من أول درجة إلى آخرها حيث أن آخر درجات الاستدلال هو أول درجات الكشف ، وتقديم ما كشفه الله ورسوله من حقيقة المسألة أحق .

الثاني : أن الكشف يرافقه دائما دليل من ظاهر القرآن والسنة مصحوباً ببرهان تذوق حقائق الدليل بينما الاستدلال كثيراً ما يكون اغتصابا من الدليل وإكراها له على مجاراة ظنون المستدل أو هواه وشهوته أو ما ألفه في حياته .

الثالث : أن الكشف من مراتب اليقين العلمي والاستدلال من مراتب الظن العلمي وفرق بين الاستدلال على وجود مسألة وصحتها وبطلانها وبين انكشاف المسألة بنور النبي للعبد على ما هي عليه في الواقع وعلى ما ستؤول إليه.

ومثال ذلك لو أنك استدللت على وجود زيد في الدار بوجود فرسه على بابه ، فإن حكمك الناشئ عن الدليل سيبقى ظنياً ، بينما لو رأيت زيداً يخرج من بيته ويترك فرسه أمام بيته ، لكان كشفك هذا أعلى رتبة وأمضى يقينا من استدلالك بالفرس .

وكذلك فإن كشف الثقة أقوى من استدلالك فلو رأيت سيارة الإطفاء عند بيت عمرو من بعيد فحكمت بالاستدلال أن

بيت عمرو يحترق ، ثم جاءك ثقة كان يشاهد الإطفاء فقال لك بيت عمرو لم تصله النار لتركت استدلالك وأخذت بكشف الثقة .

الرابع : أن ترتيب الحقائق من مقام واحد لا يمكن أن يتجلى إلا بالكشف لأن جميع قواعد الاستدلال قاصرة عن هذه الأعجوبة لذلك كان الكشف ركناً من أركان العلم برتبة الحقائق لأن أول رتبة في إدراك الحقيقة هي المشاهدة والمشاهدة هي أول منازل اليقين ، واليقين هو أول براهين الكشف لأنه لو لم يكشف الله الحقيقة للعبد لما شاهدها وتذوقها ، ولو لم يكشف الله له منزلة هذه الحقيقة لما شاهد رتبتها بين الحقائق المتماثلة ، ومثال ذلك قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سبق درهم مائة ألف درهم)) رواه الإمام أحمد ، فهذه الحقيقة تم تقريره بالكشف لا بالاستدلال ، إنما قام صاحب الكشف عليه الصلاة والسلام باختيار دليل منطقي يناسبه بعد هذا الكشف ليعلله للعقول .

منزلة الكشف عند أهل الله :

اعلم ان الكشف كرامة يكرم الله بها عباده الصالحين وهي تحدث لهم بكثرة يقظة ومناماً ، وقد كتب بعض العلماء كتباً جمعوا فيها كرامات الصالحين بدأوا فيها بكرامات أصحاب الأنبياء ثم كرامات من بعدهم ، وأفردوا باباً للكلام على كشوفاتهم فمن أراد أن يطلع على تلك النماذج فعليه بطبقات الشعراني وجامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني فيجد حكايات كثيرة .

مسألة مهمة ، بين الكشف وستر الله :

إن الله نهى العباد عن التجسس وحرم عليهم اتباع العورات وأمرهم بالستر ، لذلك فإن الله عندما يكشف للعبد عن أخيه العبد فلا يكشف له العورات المستورة ، والله دائم الستر أما بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام فإن الله قد جعله رحمة للعالمين ، لذلك فان بعض الذنوب للعباد المسلمين تعرض على النبي عليه الصلاة والسلام ليستغفر لهم ، كما جاء في

الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تعرض علي أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم)) قال الهيثمي رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

وأي عبد يستحي من النبي عليه الصلاة والسلام إذا أذنب ذنباً بينه وبين ربه ولم يطلع عليه أحد وطلب من الله أن يستره ولا يعرض ذنبه على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله يستره ولا يعرض ذنبه على النبي عليه الصلاة والسلام .

وأعلم أن معظم ذنوب العبد تقع خارج دائرة الستر حيث يطلع عليها الشيطان ومنها ما يكون للعبد فيها شريك من الناس ، لذلك كان من الخير أن تعرض الأعمال على النبي الرؤوف الرحيم صلى الهأ عليه وسلم الذي قال : ((وفاتي خير لكم)) حتى يستغفر لأصحابها .

ولما كان من فوائد الكشف الاستغفار والنصيحة للمسلمين فإن الله يكشف لبعض العلماء والمشايخ أخطاء تلاميذهم

وجيرانهم وإخوانهم لينصحوهم ويدعوا لهم بالهداية ويصلحوا ذات بينهم ، وقد قال الله تعالى : ((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)) التوبة 105

خاتمة:

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله اللهم اجعلنا من المحبين التابعين له وارزقنا شفاعته يوم الدين والقرب منه في مجلسه في الفردوس .. آمين .

انتهت الرسالة بحمد الله